صراعات الألفية الثالثة وتأثيرها على خارطة التحالفات وتوازن القوى في النظام الدولي

The Conflicts of the Third Millennium and their Impact on the Map of the International System

تحرير: بسمة توم — *Author: Basma Tom*

الناشر: المكتبة الوطنية في الأردن 2021 — *Publisher: The National Library of Jordan 2021*

مراجعة: أحمد يوسف — *Reviewed by: Ahmed Yusuf*

عدد الصفحات: 148 — *Pages: 148*

عرضت الباحثة أشكال الصراعات والتحالفات خلال حقبة القرن العشرين، وانعكاساتها على توازن القوى في الفصل الأول الذي احتوى على ثلاثة مباحث. تناولت الكاتبة في المبحث الأول معاهدة وستفاليا 1648 التي شكّلت الانطلاقة الأولى باتجاه رسم معالم نظام دولي حديث، تُحكَم من خلاله العلاقات بين دول أوروبا، بناء على قواعد ومبادئ تردع بموجبها الدول الطامعة في الاعتداء على دول أخرى، حيث امتد عمر هذه المعاهدة إلى ما قبيل الحرب العالمية الأولى في عام 1914م حيث شاب التزام بعض دول أوروبا كألمانيا وفرنسا باستحقاقات تلك المعاهدة، تجاوزات عديدة (حرب السبعين).

وُفِّقت الباحثة في إيجاز تلك الحقبة التاريخية المعتمة في القارة الأوروبية، وعرضت أهم المحطات التي أفادت القارئ في التأسيس لفهم ما تلاها من أحداث عصفت بالعالم.

أما المبحث الثاني من الفصل الأول فتناول مفهوم نظرية الأمن الجماعي والدور الوظيفي لتلك النظرية في كونها تشير إلى تجمع الدول للحفاظ على السلام لذاته دون التخلي عن مصالحها الذاتية؛ حيث تناولت الباحثة حقبة مهمّة من الصراع العالمي في القارة الأوروبية، إلا أن ذلك كان حلمًا بعيد المنال، حيث استعرت الحربان العالميتان الأولى والثانية وما بينهما من إفراز تكتلات وتحالفات دمرتا معاهدة فرساي التي لم تحقق الشرعية ولا التوازن، حيث بدت عورة تلك المعاهدة وهشاشتها.

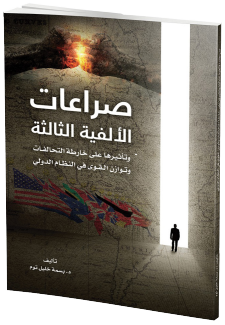

أجادت الباحثة هنا في الوقوف على الخلل البيّن في النظام الدولي خلال حقبة الحربين الكونيتين وما بينهما؛ أي أنها أشارت إلى وفاة عصبة الأمم وانتهائها، وتجريد دول المحور من سيادتها، وحرمانها من عمقها الإقليمي، وهو ما أفرز تحالفًا غريبًا -رغم الاختلاف الأيديولوجي-

DOI:10.36360/1560-011-001-010

بين دول أوروبا المنتصرة والاتحاد السوفيتي، فكان ولادة قطبين عالميين مؤثّرين.

أما المبحث الثالث من الفصل الأول فتناول النسق الدولي في ظلّ الحرب الباردة والنظام العالمي الجديد من خلال محورين؛ أوّلهما: القطبية الثنائية والتغير في هيكل النظام الدولي (الحرب الباردة على مدى أربعين عامًا)، وثانيهما: أحادية القطبية في النظام العالمي الجديد في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، الذي شهد هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على النظام الدولي بنواحيه كافة؛ أي أنّ أمريكا أضحت الآمر الناهي بصورة فردية من دون الحاجة إلى الحلفاء، ومن دون الالتزام بالشرعية الدولية، وذلك بحكم قوتها المتفوقة علميًّا واقتصاديًّا وعسكريًّا وأمنيًّا، وهذا مهّد الطريق واسعًا أمام عولمة الفكر والمجتمع، وصهر وصياغة القيم عالميًّا وفق المقاس والمزاج الأمريكي.

تعرضت الكاتبة في هذا المبحث للاستبداد الأمريكي، وأشارت إلى وجهه القبيح بدون موارية أو تزيين، بحكم موضوعيتها العلمية بوصفها باحثة، وهذا زاد من ثراء وغزارة المادة التي ساقتها على صعيد تشخيص الحالة الراهنة إبان الحرب الباردة وصراع القطبين، وما تلاها من استسلام العالم بأسره بتفرد القطب الأمريكي بقيادة العالم بلا منازع، وما نجم عن ذلك التفرد من استئثار وتهميش شركاء الأمس، وما أعقب ذلك من تحولات نظامية وهيكلية عُدَّت بحق بمثابة العولمة الأمريكية بكل معاييرها وأشكالها.

وصلت الباحثة إلى عرض صور الصراعات وأشكالها المحتملة في الألفية الثالثة وانعكاساتها على الحياة البشرية، وهذا عنوان الفصل الثاني، الذي جاء في أربعة مباحث؛ الأول: مبحث الحرب الباردة الجديدة، وإستراتيجية الردع والتوازن والأمن في النظام الدولي، حيث شهد العالم ولادة دول نووية جديدة مع تزايد التخوف من إمكانية امتلاك دول أخرى لذلك السلاح؛ وهذا دفع الدول الكبرى للدخول في مفاوضات الحد من انتشار وامتلاك السلاح النووي؛ ليظل حكرًا على الدول الأعضاء بنادي الكبار. وقد أُسِّس هذا المبحث على مطلبين؛ أولهما: تحولات الردع النووي والتوازن النووي في الألفية الثالثة وأثرهما على إستراتيجية الأمن، والتحديات التي فرضت نفسها، وثانيهما: واقع معاهدات الحد من التسلح بين التداعي والاستمرار في ظل الحرب الباردة الجديدة، حيث عرضت الباحثة أهم معاهدات الحد من التسلح النووي التي سارت باتجاه كبح انتشار الأسلحة النووية، بل والتحرك باتجاه نزع التسلح النووي إلا أنها أخفقت في تحقيق التزام مطمئن ومريح من قبل أطراف تلك المعاهدات؛ حيث إن التوازن النووي وتوازن الرعب اللذين كانا قائمين إبان القرن العشرين بين القطبين الأمريكي والسوفييتي لم يعدّا مقياسًا ومؤشرًا لتوافر حالة الردع والاستقرار النووي؛ إذ إن معيار التوازن النووي أصبح مقاسًا بالقدرة التدميرية لا العددية. كما تعرضت الباحثة للتقلبات التي اعترت مواقف القوى الإقليمية من معاهدات الحدّ من التسلح في الألفية الثالثة، وأشارت إلى مسوّغات وتداعيات الدول التي انسحبت أو علّقت مشاركتها في تلك المعاهدات، وجاء التعليق الأمريكي للمعاهدة ليزيد الهوة والفجوة في الثقة بين أمريكا وكوريا الشمالية. كما تعرضت الباحثة لمواقف الرئيس

الأمريكي جو بايدن حيال معاهدة الحد من التسلح النووي ومحاولة استعادة الثقة؛ حيث سارع إلى اقتراح تمديد معاهدة نيوستارت مطلع فبراير 2021 لمدة خمس سنوات أخرى، مع بروز التساؤل الأكثر إقلاقًا لبال الدول النووية: ما احتمالات المرحلة القادمة على صعيد ضبط الحرب الباردة الجديدة؟

أما المبحث الثاني من الفصل الثاني فقد تمحور حول دور التكنولوجيا في تحولات الحروب في الألفية الثالثة عبر ثلاثة مطالب؛ الأول: الحرب الإلكترونية والتغير في مفاهيم القوة والتهديد والردع، حيث تبوّأت المعرفة مكانة عالية في تصنيف القوة، التي لم تعد-أي القوة- مقتصرة على القوة الاقتصادية أو العسكرية، بل أصبح للتكنولوجيا دور مهمّ في تحديد موازين القوى في النظام الدولي، وهو ما أسهم في إعادة تعريف الردع في ضوء انطلاق الحرب الإلكترونية؛ إذ إن الفضاء الإلكتروني مساحة غير ملموسة، لذا تبعت ذلك مخاوف وصعوبات، مع ظهور المبدأ القائل: لا يمكنك الردع ما لم تكن بإمكانك المعاقبة. أما المطلب الثاني فتناول الحرب الإلكترونية وسباق التسلح الرقمي، وساقت الباحثة مثالًا لذلك، هو هجمات 11 سبتمبر 2001 التي كانت بمثابة تدوين شهادة وفاة للمفهوم التقليدي للتهديدات الأمنية، حيث استُخدِمت الطائرات المدنية في ضرب المرافق الحيوية والأمنية. كما عرضت الباحثة أشكال النزاع وصوره التي تحدث في الفضاء الإلكتروني، مثل القرصنة الإلكترونية والجريمة الإلكترونية والإرهاب الإلكتروني والحرب الإلكترونية. ولأن ميدان تلك الحروب ميدان لا تناظري، فقد سعت العديد من الدول إلى تطوير قدراتها الهجومية والدفاعية. وجاء المطلب الثالث ليقرر حال الحرب الإلكترونية ويجردها بموضوعية، حيث قامت الباحثة بتناول الحرب الإلكترونية في ضوء القانون ومستقبل السلم والأمن الدوليين، وتوصيف العلاقة البينية بين العمليات الإلكترونية المدنية والعسكرية التي كان من أبرز معالمها أن هناك خطًّا ضبابيًّا بين الدفاع السيبراني والهجوم السيبراني. أما المبحث الثالث فقد جاء ليرفع من وتيرة الخوف والقلق من إمكانية استخدام سلاح كهرومغناطيسي صغير في قلب معادلة الحروب، بحيث يتسبب في هزّ أساس السلم والأمن الدوليين. وختمت الباحثة هذا الفصل بالمبحث الرابع الذي عرضت فيه محفزات الحرب العالمية الثالثة بنكهتها التدميرية الفائقة السرعة والأثر، تأسيسًا على مسوّغات تلك الحرب التي ستقوم بناء على صراعات من نوع جديد (فضاء، غاز).

تمكنت الباحثة في الفصل الثاني من عرض مخاوف الدول العظمى بلا مواربة أو (رتوش)، وهذا أتاح رؤية موضوعية لحال السباق النووي غير المنضبط ونتائجه التي ستكون كارثية على العالم بأسره في حال انفلات عقاله، كما أنها عرضت أخطر أنواع الحروب، وهي الحروب الإلكترونية التي لا فضاء لها ولا حدود، وهذا زاد من قيمة هذا الفصل الذي يُعَدّ إثراء مفهوميًّا موجزًا.

حمل الفصل الثالث عنوانًا منطقيًّا، هو: تأثير صراعات الألفية الثالثة في خريطة التحالفات وتوازن القوى في النظام الدولي؛ حيث عرضت

الباحثة تلك التأثيرات من خلال مبحثين؛ الأول: التحولات الأيديولوجية وتعدد القوى في فوضى نظام الألفية الثالثة، والثاني: خريطة التحالفات في الألفية الثالثة من توازن القوى إلى توازن التهديد. أشارت الباحثة إلى مجموعة من القوى الصاعدة في نظام الألفية الثالثة باعتبار تراجع الهيمنة الأمريكية المطلقة التي تمتعت بها أمريكا على مدى سنوات طوال، وهي: روسيا الاتحادية، الصين، الهند، اليابان، الاتحاد الأوربي، البرازيل، تركيا. كما عرضت الباحثة خريطة التحالفات خلال الألفية الثالثة: (منظمة شنغهاي للتعاون، منظمة معاهدة الأمن الجماعي، مجموعة البريكس، المجلس التركي).

تمكنت الباحثة خلال الفصل الثالث من ترجمة المخاوف إلى حقيقة ماثلة للعيان، تمثلت في أن عواقب السباق النووي المحموم سيطيح بخريطة التحالفات التي أفنت حياة ملايين البشر لمصالح خريطة تحالفات أشد فتكًا وقسوة.

أما الفصل الرابع فقد تعرضت فيه الباحثة لانعكاسات وتداعيات صراعات الألفية الثالثة على مستقبل البشرية الذي سيصبح أكثر ظلامًا فيما لو تحقّقت نبؤات الشيطان الذي تنقلت أصابعه في عزف مخيف على الساحة الدولية. وختمت الباحثة الفصل بدعوتها إلى بذل الجهود للعودة إلى حالة الاستقرار والسلم الدوليين؛ من خلال تغليب العقلانية في العلاقات الدولية، وإعادة هيكلة المنظمات الدولية، وتجاوز الوضع الفوضوي الراهن، بما يحقق متطلبات الاتفاق والإجماع.

ختامًا... لا بد من الإشادة بالجهد الكبير الذي بذلته الباحثة في تناول هذا الموضوع الحيوي بطريقة العرض الموجز، والدلالات المباشرة.